جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تجليات
النزعة العربية في شعر
غازي القصيبي

الدكتور
زهير حسن سعيد العمري
أستاذ الدراسات الأدبية المشارك - قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب - جامعة نجران - المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م
الجزء الرابع عشر
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات النزعة العربية في شعر غازي القصيبي

زهير حسن سعيد العمري

قسم الدراسات الأدبية - قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب – جامعة نجران ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : zhalamri@nu.edu.sa

الملخص

إن الكثيرين قد كتبوا عن تجربة غازي القصيبي الشعرية، ولكن هذه التجربة تبقى تحمل في ثناياها الكثير مما يحتاج إلى التحليل والنقد، إذ تبين للباحث أن بُعد النزعة العربية لم يحظ بدرجة الاهتمام ذاتها التي حظيت بها الأبعاد الأخرى من قِبل الباحثين، وحيث إن بعد النزعة العربية في شعر غازي القصيبي شكل محورا للعديد من قصائده، فإن الباحث أحس بأهمية سبر غور بعد هذه النزعة في شعر القصيبي الذي أسس لثقافة عربية منعتقة من ذاتها منطلقة إلى مداها الإنساني الكوني.

وخلص الباحث إلى تصور عام لدلالات النزعة العربية ومكوناتها في شعر القصيبي فالشاعر لم يستدع عناصر الهوية العربية لتكون حاضرة في شعره فقط في أثناء الحروب والمقاومة، والتي عادة ما تبرز في سياق محاولات الاستقطاب بين الذات العربية الفردية التي لها حضور طبيعي وحضور فعلي، وحضور تاريخي في الإطار الإنساني.

الكلمات المفتاحية : النزعة العربية ، التجربة الشعرية ، شعر غازي القصيبي ، غازي القصيبي .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

١٤٢١٤

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The manifestations of the Arab tendency in the poetry of Ghazi Al-Gosaibi

Zuhair Hassan Saeed Al-Omari

Department of Literary Studies - Department of Arabic Language - College of Science and Arts - Najran University - Kingdom of Saudi Arabia

Email: zhalamri@nu.edu.sa

Abstract

Many researchers investigated Ghazi Al Gosaibi 's poetic experience, but this experience still includes more aspects which need to be analyzed and criticized. The researcher has realized that unlike the other dimensions investigated by researchers, the dimension of Arab tendency has not been paid the same attention. Since the dimension of Arab tendency in Al Gosaibi poetry represents a main aspect in his several poems, the researcher has realized the significance of probing the depth of this dimension in his poetry, which established an authentic Arab culture with a universal human horizon. The researcher found out a general conception of Arab tendency implications and elements in Al Gosaibi poetry. For the poet did not recall elements of Arab identity to be present in his poetry only during wars and resistance, which is usually prominent in the context of polarity attempts inside individual Arab self that has natural presence, actual presence and historical presence in a human framework.

Keywords: Arab tendency, poetic experience, Ghazi Algosaibi's poetry, Ghazi Algosaibi .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل :

إن هوية الشاعر السعودي في بعديها الشخصي والجمعي ليست جامدة يابسة منغلقة على ذاتها، وإنما متفاعلة مع سياقات التطور والتغيير دون انفلات عن أصالتها و ثوابتها، حيث إن النزعة العربية هي ما تتضمنه من سمات وقيم تميز فردا أو جماعة عن غيرها، إلا أن الواقع النسبي والراهن الحضاري والمدني قلص الفوارق بين ما هو ذاتي أو شخصي وبين ما هو إنساني. ويكون لأشكال الإبداع الإنساني ــ وفي طليعة ذلك الإبداع الشعري ــ دور مهم ليحافظ على تجليات الشخصي والجمعي لهوية الفرد أو جماعة ما في دوائرها الممتدة من الذاتي إلى الكوني.

لقد حمل الشعراء السعوديون لواء القضايا العربية، شأنهم شأن بلادهم في مواقفها التي كانت سباقة في دعم القضايا العربية والإسلامية لنصرة الإسلام والدفاع عن العروبة، و يأتي ذلك اتساقًا مع المواقف المشرفة للشعراء السعوديين في استشعارهم لمواقفهم تجاه القضايا العربية، ومواكبتهم لما تقوم به الحكومة السعودية من جهود ريادية في القضايا العربية، ولقد واكب الشعر السعودي قضايا الأمتين العربية والإسلامية، وعرض لقضايا كثيرة منها : قضايا الاحتلال ، والاستعمار ، والعدوان على البلاد الإسلامية مثل: فلسطين، ولبنان ، والصومال ، والجزائر ، وأفغانستان.

لذا فإن دراسة بُعد النزعة العربية في شعر القصيبي من الأهمية بمكان للتعمق في قدرة المبدع على تشكيل رؤية لمفهوم النزعة العربية بحيث تحتفظ بقيمها وسماتها المميزة وفي الوقت نفسه تتماهى مع الآخر في العمق الإنساني.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولم يقف القصيبي عند الأنا في تحديد مكونات النزعة العربية بل استطاع أن يتجاوز القطري الوطني إلى القومي إلى الإنساني . فمكونات الأنا قد تتداخل في إطارها العام مع مكونات الهوية العربية عموما، مثال ذلك الهوية الفلسطينية التي هي في عمقها مكونات عربية، وأيضا قد تتداخل مع مكونات هويات غير عربية، فلكل هوية مكون تاريخي واقتصادي واجتماعي وديني....، ولكن ما يميز مكونات الهوية الفلسطينية أن تشكيل كل منها له تفاصيل مختلفة مستمدة من موروث تاريخي وثقافي فيه خصوصيات كثيرة.

ويجدر بالباحث أن يشير في بداية هذه الدراسة إلى أنه على الرغم من تعدد الدراسات والبحوث حول أدب القصيبي والتي تناولت جوانب عديدة في حياته وشعره ونثره، وعرضت لمضامينه ودرست جوانبه الفنية، إلا أن دراسة النزعة العربية في شعره لم تطرق بالصورة التي توازي ما كتبه من قصائد تفاعل فيها مع القضايا العربية.

ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما موقع القضايا العربية من شعر غازي القصيبي؟
- ما مضامين شعر غازي القصيبي التي تناولت القضايا العربية؟
- ما أبعاد شعر القصيبي الذي عرض للقضايا العربية؟

ومما شجع الباحث على اختيار هذا الموضوع أن الشاعر له تجربة سياسية ثرية حيث شغل عددًا من المناصب القيادية؛ سواء كان في عمله سفيرًا للمملكة العربية السعودية في بريطانيا أو في البحرين، أو تقلده عددًا من الوزارات، فكان جزءًا من منظومة العمل السياسي والإداري للمملكة على مدار عقود طويلة، ومواكبًا للأحداث السياسية الجسام التي ألقت بظلالها على

البلاد العربية والإسلامية، وكان من الطبعي أن نلمس في إبداعه الشعري إشارات أو مواضيع تتعلق بهذه الأحداث، غير أننا نلحظ تأثره الكبير بهذه الأحداث وقربه منها، وتفاعله معها بشكل ظهر جليًّا في أدبه، مما يستدعي الوقوف على نتاجه الشعري لاستجلاء هذه الصور التي تميزت بها تجربته الشعرية.

وتسعى هذه الدراسة إلى تبيان النزعة العربية في شعره حيث كانت القضايا العربية جزءًا لا يتجزأ من رؤيته الإنسانية ومن تعبيره عن القضايا الوطنية، والمتمعن في نتاج القصيبي الشعري يجده مليئًا بالروح العربية التي كانت ترى أن البلاد جزء لا يتجزأ ؛ لذلك نجد شعره يمثل رصدًا توثيقيًا وسجلًا تاريخيًا مهمًا.

واستطاع القصيبي أن يوازن بين أطروحاته الفكرية وبين مشاعره المفرطة في الوجدانيات التي تنزع نحو التفكير والتأمل، "ويُعد القصيبي من أقدر الشعراء الشباب على تصوير تلك النزعة الرومانسية – من حنين وغربة وقلق – في أسلوب يجمع بين رصانة القديم وإيقاعه الشجي، وشفافية العبارة وحداثة بنائها، وقدرتها على الإيحاء بمستوى فوق المستوى الأول للمعنى والصورة"(١).

وجاءت صورة القضايا العربية في الشعر السعودي ضمن صور القضايا الإسلامية، وأنها جزء لا يتجزأ منها، والدفاع عن البلاد العربية من منطلق الدفاع عن الدين الإسلامي، ويمكن أن نصف في ذلك أغلب ما جاء

---

(١) القط ، عبد القادر (١٩٨٨م) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، القاهرة : مكتبة الشباب ، ص ٤٦٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في الشعر السعودي حول القضايا العربية، حيث إن الشاعر السعودي يرى أن أيّ قضية عربية هي قضية إسلامية خالصة في المقام الأول تهم كل مسلم قبل أن تكون قضية عربية.

ويتصدر الشاعر القصيبي الريادة في مقاومة نكوص الهوية العربية، وشكل فكره ورؤاه مانعًا للتقوقع في الأنا الضيقة المحصورة بجغرافية محددة أو مميزات خاصة أو إرث تاريخي ذاتي، فجسد قواسم الهوية الفلسطينية المتمثلة في الوطني والقومي والإنساني، ليخلق منظومة متفاعلة تشكل هوية العربي الفلسطيني، دون تذويب للثوابت أو التخلي عنها ودون تيبس أمام ثقافة الآخر.

لقد انعكست رؤى القصيبي في شعره الذي تجاوز حدود النظم الأدبي وقواعده، إلى بلورة مفهوم جديد للهوية العربية الفلسطينية وربما مفهوم جديد لهوية الإنسان العربي أيا كانت الجغرافيا التي يقيم فيها وأيا كان المرتكز التاريخي الذي يستند إليه.

وجاء في ذلك قول القصيبي في قصيدة "لا تهيئ كفني" التي يشير فيها إلى قضية فلسطين معتزاً فيها بالدين الإسلامي وأن هذه القضية هي قضية إسلامية، فيقول:

لَا تُهَيِّئ كَفَنِي مَا مِتُ بَعْدُ ... لَمْ يَزَلْ فِي أضلعي بَرَق ورَعْدُ
أَنَا إسْــلَامِيّ أَنَا عِــزَّتِه ... أَنَا خَيْلُ اللّهِ نَحْوَ النَّصْرِ تَعْدُو
أَنَا تارِيخِي إلَّا تَــعْرِفُه؟ ... خَالد يَنْبِض فِي رُوحِي وسعدُ
أَنَا صحــرائي مَا هُزِمْت ... كُلَّمَا اُسْتُشْهِد بَنْد ثَار بَنْد (١)

(١) القصيبي ، غازي عبد الرحمن (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) الأعمال الشعرية الكاملة ، جدة : مكتبة تهامة ، ط ٢، ص ٦١٩

إن منطلقات القصيبي في تحديد أو تشخيص مكونات الهوية الفلسطينية لم تكن وليدة ظرف سياسي أو ظرف مكاني أو واقع فرض نفسه على مرحلة تاريخية من تاريخ الشعب الفلسطيني، وإنما مستمدة من جذور ممتدة في تاريخ موغل في القدم، وأيضا من واقع مواكب لتطور سياسي اجتماعي اقتصادي ثقافي يعيشه الفلسطينيون في فلسطين المقيمة أو في فلسطين المهجرة.

وبالقراءة المتفحصة لشعر القصيبي نجد أنه يغوص في أعماق التاريخ ليؤكد معالم هوية الفلسطيني حيث تشكلت ثوابتها، لكن هذه المعالم لم تنكفئ على ذاتها وإنما تفاعلت وانفتحت على الأخر.

وإن كان الشاعر هنا يتحدث بصيغة الأنا، فقد يبدو أن هناك انطباعًا يتحدث عن هوية فردية، لكن الأمر مغاير لذلك، فقد استطاع القصيبي أن يعبر ويقصد الجمعي دائمًا وإن كانت الأنا هي ظاهر الكلام أحياناً، فهو يعبر عن الفلسطيني أيًا كان، كما أن مظاهر الحياة وتفاعلها لا تتشكل بفرد واحد وإنما من خلال المجموع.

والمهم أيضا أن تاريخ الكينونة الفلسطينية وهويتها الذي يحدده القصيبي، لا يرتكز على أسطورة مبتدعة ومتخيلة أو قائم على الرمز، بل هو تاريخ حقيقي واقعي، مرتبط أساسا بالتعامل مع الأرض الصحراء إعمارًا وبناءً ووجودًا ماديًا فهو يؤكد أن الفلسطيني هو الذي عمر الأرض الفلسطينية، حيث سبق وجوده أساسًا وجود مظاهر الحياة الأخرى من شجر وزرع وحرث. وهذا الإعمار المادي للأرض هو الذي يؤكد الأسبقية التاريخية لهوية الفلسطيني الفردية والجمعية في آن واحد، لأن الإعمار لا يتم إلا بوجود الإنسان نفسه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسعى الشاعر إلى تعميق الدلالة من خلال تكرار لفظة (أنا) في هذه الأبيات أربع مرات، حتى يبدو النص أكثر تماسكاً وتلاحماً مع الحالة الوجدانية، وخطاب (الأنا) في هذه الأبيات استُخْدم من خلال رؤية استقصائية شاملة.

وفي قصيدة أخرى بعنوان " أمتي" يخاطب فيها الأمة العربية، ويستدعي فيها الشخصيات الدينية بدءًا من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وعدد من القادة الإسلاميين عبر العصور؛ فيقول:

تَموتين؟ كَيْف؟
وفيكِ الْكِتَاب الَّذِي نور
الْكَوْن بِالْحَقِّ حَتَّى تَوَرَّد
وطارقُ مِنْك
ومنكِ الْمُثَنَّى
وَأَنْت الْمُهَنّد
تموتين؟ كَيْف؟
وأنتِ مِنْ الدَّهْرِ أَخْلَد؟ (١)

إن الفلسطيني– عند القصيبي– رغم عوامل الإلغاء والإقصاء والتذويب والاقتلاع التي تعرض لها منذ حقب طويلة، إلا أنه لم يستبدل التسامح بالكره، وإن كان متشبثًا بحقوقه الوطنية ومناضلاً من أجل استعادتها، فهو لا يقاوم الإسرائيلي / اليهودي لمجرد أنه يهودي، وإنما لأن هذا الأخير محتل للأراضي الفلسطينية.

---

(١) القصيبي ، غازي عبد الرحمن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٥٩٧

ويشير الشاعر في هذه المقطوعة إلى أن هذه الأمة لن تهزم ولها هـذا الأساس المتين، والتاريخ المضيء عبر هذه القرون بدء من عهد المصطفى – صلى الله عليه وسلم– ليعبر عما يختلج في أعماقه من انتماء ووطنية صادقة، وعقيدة راسخة في انتمائه الإسلامي و العربي.

وفي قصيدة أخرى يوجه نداءه للأمة العربية ويصفها بالعاجزة التي لـم تعد تستطع أن تقوم بشيء لتستعيد مجدها وعزها، حتى إن الصبر لم يحتمـل وضع الأمة المحزن فيقول: [الخفيف]

أُمَّتِي أُمَّتِي الشقية مَلّ الْعَجْز منّا وَضَـج صَبَر جميلُ

حَارَبْتَنَا مِن التَّتَـار قرودٌ وغزانا مِنْ الْجَرَادِ قبيلُ (١)

فقد أتى القصيبي على خصوصيات التجربة الفلسطينية حينما تتعـرض هذه الخصوصيات للاستلاب والاقتلاع والإلغاء والتزوير والاسـتيلاء علـى المكان والذاكرة من طرف المحتلين المتعاقبين على فلسطين، وذلـك قصـد التأكيد على هذه الخصوصيات وحمايتها، و يأتي عليها ــ أيضـا ــ حينمـا يتعرض لمأساة الشعب الفلسطيني وبطولته ، فالعلاقة بين الوطني والقومي في بعد الهوية كالعلاقة بين الخاص والعام .

كان الشاعر صريحًا وحاسمًا دون تأويل حين عرَّف الفلسطيني وميَّـزه عن الآخر ، فكرر لفظة "أمتي " مرتين لجذب الانتباه، ولإظهـار المشـاعر المتجددة، والعواطف الفياضة بالمشاعر الوجدانية، وتلبس لون الحزن بسـبب هذا العجر واليأس من انصلاح حال الأمة العربية، وتوالي النكبات واحدة تلو الأخرى.

---

(١) القصيبي ، غازي عبد الرحمن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٦٦٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي قصيدة "بنت الرياض" وضَّح أنه غير قادر على الفرح، والأمة العربية تغرق في مشاكلها التي تتزايد يومًا بعد يوم، حتى تلون بها شعره، وغدت جزءًا منه، فيقول: [البسيط]

بِنْتَ الرِّيَاض حَلَمْتُ الْجُرْحَ فِي شَفَتَي وعشته ألماً مراً وأعيـــاء
أَحـــزَان أُمَّتِي الثَّكْلَى تحاصرني فَكَيْف أُعْطِيك أَنْغَاما وأنـــداء
مِنْ أَيْنَ آتِي بِشَـــــعْر كُلُّه فَرِح الْيَأْس يَرْتَجِل الْأَشْعَار سَوْدَاء (١)

لم يستنهض "القصيبي" مقومات الهوية الفلسطينية على أساس أيديولوجي أو سياسي أو مذهبي أو طبقي، وإنما على أساس عربي إنساني في إطار منظومة متكاملة تكاملية؛ تبدأ من الأنا وتمر بنحن وتمتد في الآخر الإنساني، فصار الشاعر أينما كان مميزًا وملهمًا، حيث بات يشغل حيزًا في ذاكرة الآخر؛ فقد استشعر الشاعر أن صيرورة الهوية السعودية العربية تقتضي صيرورة التفاعل مع الآخر والتأثير فيه والتأثر به في إطار التعددية الثقافية والاجتماعية والسياسية.

وخلاف ذلك قد تجد الهوية ذاتها متقهقرة غير قادرة على الحفاظ على مقوماتها وفي الوقت ذاته غير قادرة على معايشة واستيعاب التغيرات المتلاحقة؛ لذا فإن ممازجته بين الوطني والقومي العربي هو اندماج بين الإنسان السعودي والانسان العربي بحيث يصبحان مكونًا واحدًا لوجود واحد، فما دام أحدهما موجودًا فإن المندمج فيه هو حتمًا موجود، وعليه بالتالي فإن كل محاولات التغيير والتزوير والاستبدال للإنسان العربي الفلسطيني لن تنجح، لأن فصل العربي عن الفلسطيني غير ممكن. وفي ذلك يقول:

---

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٧٢٤

لَو الْتَقَيْنَا فِي الطريق صُدفة
فَررتُ مِنْك
أَخَافُ أَنْ أَرَى علَى
عَيْنَيْك رَوْعِة الْغَضَب
أَخَافُ أَنْ تَرَى علَى
عَيْنِي ذِلَّة الْهَرَبِ
أَخَافُ أَنْ تَسْأَلَنِي :
" أَينكَ يَا أَخَا الْعَرَب " ؟ (١)

وتذكر المصادر والروايات التاريخية أنه عقب صدور ديوانه "**معركة بلا راية**" في عام ١٩٧٠م حدثت ضجة كبيرة، وكان ذلك في فترة حكم الملك فيصل- رحمه الله- حيث توافد المعارضون إلى الملك فيصل على مدى أسابيع بسبب ما جاء في هذا الديوان؛ مطالبين بإيقاف هذا الديوان، ومحاسبة الشاعر وردعه عما حواه من قصائد، فما كان من الملك فيصل إلا أن عرض الديوان على مستشاريه ؛ ليقيموه ، فردوا عليه بأنه لا يوجد فيه شيء يمس الدين أو الأخلاق وأنه لا يختلف عن أيّ ديوان شعري عربي آخر، إلا أن الضجة حول الديوان لم تتوقف، واستمر المعارضون بالتوافد على الملك فيصل فما كان منه إلا أن شّكل لجنة مكونة من وزير العدل، ووزير المعارف، ووزير الحج والأوقاف، لدراسة ما جاء في الديوان، وانتهت اللجنة إلى أن ليس في الديوان ما يمس الدين أو الأخلاق الإسلامية .

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٩٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذكر "القصيبي" رداً على ذلك في كتابه سيرة شعرية، وأنه لم يكن يقصد ما ذهب إليه المعارضون، وأنه كتبه بعد أحداث فلسطين " لقد اعتقد الكثيرون أن المعركة التي يشير إليها العنوان هي معركة العرب القومية، ودللوا على ذلك بالقصائد التي تتحدث عن الهزيمة. وإن هذا الاعتقاد غير صحيح؛ فقد كتبت قصيدة (معركة بلا راية) قبل هزيمة حزيران بستة أشهر. والمعركة التي تتحدث عنها القصيدة ليست معركة سياسية أو عسكرية، ولكنها ملحمة الإنسان مع الحياة نفسها" (١).

ويتضح أن شعر القصيبي تناول مضامين عربية خالصة، وينبض بالتجربة الشعرية العميقة، وتموج فيه الصور والمعاني الفريدة، فخاض معارك شعرية عديدة، وحمل راية التحدي في عدد من القضايا، وواكب أحداثًا مهمة مرت على البلاد العربية عبر العقود الماضية.

القضايا العربية في شعر القصيبي:

اهتم القصيبي في شعره بالقضايا الإسلامية والعربية بشكل عام، والوطنية بشكل خاص، وخصص بعضًا من دواوينه الشعرية لقضايا عربية بعينها؛ من ذلك ديوان "يا فدى ناظريك" الذي صدر في عام ٢٠٠٢م، وديوان " أطفال الحجارة" الذي صدر في عام ١٤١١/ ١٩٩١مواكبة للانتفاضة الفلسطينية، وديوان " مرثية فارس سابق" الذي صدر في عام ١٩٩٠م مواكبة للغزو العراقي الغاشم على دولة الكويت.

(١) القصيبي، غازي (١٤٢٤هـ) سيرة شعرية، جدة : تهامة للمكتبات والنشر، ط ٣، ص٧٥ .

وكتب القصيبي الكثير من القصائد مدافعًا عن جميع القضايا العربيـــة، من ذلك تغنيه بالخليج العربي وبعروبته، واصفًا العمق التاريخي لهذه الـــبلاد العربية، وفي ذلك يقول: **[البسيط]**

عَهِدْتُه عربياً مَا لَوَى فَمَـــه بلكنةٍ هَاجَرَت مِن شَاطِئ التتر

عَهِدْتُه عربياً مِلْءَ جَبْهَتِـــه كَبَّرَ مِنْ البَيْد لَمْ يَرْكَعْ عَلَى قَدَرِ

عَهِدْتُه عربياً مَا غَفا وَصَحَا إلَّا عَلَى لُغَةِ الْإِعْجَاز وَالسُّور (١)

يتجلى الشاعر في النص السابق في وصف الخليج وامتداده التـــاريخي وإرثه الأصيل، ويؤكد على عروبته لغةً، وتاريخاً، وانتماءً، وكـــل مـــا فـــي تفاصيله ستظل عربية، ولن يضره ما يحاك حوله من مؤامرات أو دسائس.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة النزعة العربية في شعر غازي القصيبي والوقوف على أبعادها، وتحليل هذا الشعر واستجلاء مضامينه، وتبيان صوره الفنية. ولأن قضية فلسطين في شعر القصيبي لم تكن قضية عابرة وإنما هي قضية عايشها عبر أكثر من ثلاثة عقود، وعايش آلامها وآمالها، وتطلعاتهـــا وأحلامها، وواكب انكساراتها وأفراحها المؤقتة، فإننا نفضل ســـرد المراحـــل التاريخية التي أظهرها شعره ، وقد ثبتت النزعة العربية لديه مـــن خـــلال القضايا الآتية:

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٣٣- ٣٣٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولاً : نكبة حزيران ١٩٦٧م

احتلت قضية فلسطين موقعاً مهماً في الوجدان العربي بشكل عام، والوجدان السعودي بشكل خاص، ومنذ اللحظة الأولى كان الشعراء السعوديون مواكبين لهذا الاعتداء على أرض فلسطين والقدس الشريف.

يذكر القصيبي في كتابه (سيرة شعرية) أن هناك عدة أسباب أثرت في حياته، ولعل أهم هذه الأحداث هي هزيمة حزيران، وذكر قائلاً: " لقد كانت هزيمة حزيران نقطة تحول في حياتي بالمعنى الحقيقي، أي أنني بعدها أصبحت إنساناً ثانياً يختلف عن الإنسان القديم" (١).

كسرت هذه الفاجعة الشاعر معنوياً ونفسياً، وحولته إلى شخص آخر، وفي هذا الصدد تحدث في كتابه "سيرة شعرية" عن أثر هذه الحادثة وأنها غيرت مجرى حياته وطريقة تفكيره وتعاطيه مع كل ما حوله: "لم يكن إحساسي بهزيمة حزيران تجربة عقلية أو فكرية، ولكنه كان إحساساً شخصياً مباشراً. لقد شعرت – بالفعل – أن الهزيمة هزيمتي أنا، لا هزيمة أنظمة أو دول" (٢). وفي هذا التعبير ما يدل على معايشة وملازمة للواقع الفلسطيني وتأثره بكل ما يحدث بشكل يومي.

إن النزعة العربية ليست استجابة للأحداث وإنما هي فعل إنساني مرتكز على ثقافة ممتدة من الماضي إلى الحاضر ومن ثم إلى المستقبل. وهذا الفعل لا تلغيه محاولات الاستلاب الإسرائيلي التي ارتكزت على مقولة عدم وجود للشعب الفلسطيني، إضافة إلى تزوير تاريخه ومكونات وجوده منذ عقود ،

---

(١) القصيبي ، غازي بن عبد الرحمن ، سيرة شعرية ، ص ٧٣

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ – ٧٤

والمتمثلة في محو الأسماء العربية للأماكن واستبدالها بأسماء يهودية، وكذا محاولة سرقة المورث الشعبي وتزويره ليصبح يهوديًا، وأيضا محاولة شطب الفلسطيني ذاته من خلال العمل على تذويب هويته المميزة في هويات أخرى؛ لأن هذا الفعل التزويري لا يؤسس حقائق ولا يلغي حضوراً فعلياً للشعب الفلسطيني الذي تجاوز وجوده حدود الزمان ؛ فقد شكل شعر القصيبي ذاكرة غير قابلة للنسيان للهوية الفلسطينية بمكوناتها الثقافية والمكانية والزمانية وماضيها وحاضرها وحاملها إلى المستقبل، لأن أصل الحقائق، لا يتغير أو يتبدل حتى وإن تغير الفاعل .

ولم تكن النظرة إلى القضية الفلسطينية لأجل المشاركة والتفاعل مع المناخ العربي العام، بقدر ما كانت معايشة وملازمة للواقع الفلسطيني ومتأثرة بكل ما يحدث بشكل يومي، ولذلك نجد أن شعر القصيبي كان راصداً لكل تفاصيل المشهد الفلسطيني . وفي قصيدة " **بعدسة** " التي كتبها في ذات عام النكبة يقف عاجزاً أمام هول الصدمة، ويرى أن الشاعر مهما كتب لن يستطيع وصف هول ما حدث، وأن هذه القضية جعلت الشعراء عاجزين عن قول شيء يرقى إلى مستوى هذه الفاجعة التي حلت بهذا البلد العربي، فيقول:

مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الشَّاعِر
فِي وَجْهِ البَنادِق
وَهُوَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا قَلَمِه
وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا أَلَمَه
وَهُوَ مَا ذَاقَ لَظَى الْحَرْب
وَلَا زَار الْخَنَادِق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَهُوَ مَا هَام عَلَى سَيْنَاء

ظَمْآن شَرِيداً

وَهُوَ مَا حَارَبَ فِي الْقُدْس

وَلَا خرّ شهيداً (١)

يكشف الشاعر في المقطوعة السابقة عن هول الفاجعة وأن الشاعر مهما كانت قدراته الشعرية فلن يستطيع أن يصف هذه الحادثة التي أثرت في ميزان العالم كله، ويعلل ذلك بأن الشاعر لم يذق هذه الحرب الظالمة، ولم يزر الخنادق ولم يحارب ولم يسقط شهيداً، فهو لأجل هذه الأسباب لا يستطيع مهما أوتي من ملكات بلاغية وبيانية أن يصمد في مواجهة هذا القوة الظالمة المغتصبة.

ولقد واكب القصيبي القضايا العربية ولم ينقطع عنها ، وكان ممن عاصر سقوط دولة فلسطين في يد الكيان الإسرائيلي المغتصب، وكذلك الغزو العراقي الغاشم على دولة الكويت، ومأساة صبرا وشاتيلا، والغزو الأمريكي للعراق، والعديد من الأحداث السياسية التي مرت بها المنطقة العربية.

وشكلت الأحداث السياسية التي مرت بها المنطقة العربية منعطفاً كبيراً في حياة الشاعر القصيبي، وتفاعل معها شعراً ونثراً، " وجاء ضياع فلسطين فكان مأساة عميقة مست نفس كل عربي، وأثارت صراعاً عسكرياً سياسياً ممتداً كان له الأثر، وما يزال أكبر الأثر في أوضاع الوطن العربي وسياسته واقتصاده. وحدثت تحولات اقتصادية واجتماعية ضخمة في بعض أرجاء

(١) القصيبي ، غازي عبد الرحمن ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٠٢

الوطن العربي باكتشاف مصادر جديدة للثروة غيرت من وجه الحياة في تلك البلاد، وزادت من ارتباط الوطن العربي بمشكلات العالم الحديث وقضاياه"[١].

لقد سبق الشاعر كل مفاهيم ودلالات العولمة بزمن كبير؛ حينما عولم الهوية الفلسطينية في جانبها الإنساني كرمز للبطولة والتضحية والمقاومة والحق والتسامح وحب الآخر وتذويب الحدودية بين الناس، دون تخلٍّ عن الذات وخصائصها وسماتها المميزة، وفي ذات الوقت دون تيبس وتقوقع وانعزال عن الآخر، فصار الإنسان العربي المندمج بالإنسان الفلسطيني أينما كان مميزاً وملهماً، حيث بات يشغل حيزاً في ذاكرة الآخر وغدت النزعة العربية رمزاً لكل ما هو سامٍ.

لقد استشعر القصيبي أن صيرورة الهوية السعودية تقتضي صيرورة التفاعل مع الآخر والتأثير فيه والتأثر به في إطار التعددية الثقافية والاجتماعية والسياسية. وخلاف ذلك قد تجد الهوية ذاتها متقهقرة غير قادرة على الحفاظ على مقوماتها وفي الوقت ذاته غير قادرة على معايشة واستيعاب التغيرات المتلاحقة. لذا فإن ممازجته بين الوطني والقومي والإنساني كأبعاد وقيم للهوية العربية هو دفاع عن الهوية الفلسطينية ذاتها، وليس ذلك فقط وإنما إبقاؤها حية فاعلة مؤثرة ومتأثرة. فثمة كثير من الهويات لشعب ما قد تراجعت أو تلاشت بفعل التذويب أو الذوبان في قيم أخرى حلت محلها، لأن تلك الهويات لم تكن قابلة للإضافة.

---

(١) القط، عبد القادر (١٩٨٨) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، القاهرة : مكتبة الشباب ، ص ٤٦٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذا ما نستشفه من قصيدته التي تحمل عنوان "الهنود الحمر" والتي سجل الشاعر فيها أحداث احتلال للمسجد الأقصى، ووثقه عبر لقطات وصفية، وصور المشاهد بعدسته الشعرية، وأن هناك احتلالاً لمقدسات الإسلام في بلد عربي مسلم، فيقول:

قُلْ يَا أَخَي
والنجمة المعقوفة الشَّوْهَاء
تَلَمَّع فِي الْمَنَائِرِ
وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يُرَدِّد مَا
يرتله الْيَهُودِ مِنْ الشَّعَائِرِ (١)

ولم يغب الأبطال الفلسطينيون عن شعر القصيبي، وسجل في أكثر من قصيدة بطولاتهم وتضحياتهم، ومواقفهم الرجولية، ووصف حالتهم بدقة، ومن ذلك في قصيدة "مات فدائي ":

كَان الدُّجَى يصنعُ أحلامه — بِالْفَجْرِ لِمَا أزّت الطَّلْقَتَان
وَاسْتَقْبَلَت الْأَرْض مشتاقةً — بضمةٍ يقطرُ مِنْهَا الْحَنَان
يَا سيّدى مُتّ و يَا لَيْتَنَا — شرّفتنا الْمَوْت بالاّ نهان (٢)

يصف الشاعر في الأبيات السابقة استشهاد البطل الفدائي مسترسلاً في تفاصيل المشهد، ويعبر عن اشتياق الأرض لجسد هذا البطل الذي ضحى بنفسه لأجل وطنه، وظهر الشاعر ملتحماً التحاماً كبيراً بالموت وتصويره

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٨٦
(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٧ – ٣٦٨

تصويراً موسعاً في القصائد التي عرض فيها للقضية الفلسطينية، وذلك إيماناً منه بأن الموت هو النهاية الحتمية التي لا مفر منها، ولأن هذه القضية مسألة مصيرية أودت بحياة الكثيرين من التضحيات. فسمت هذه القضية بقيم سامية لتكتسب بعداً إنسانياً أرحب من حيز المكان أو مجال الزمان دون أن تتصادم معهما أو تتنافر مع مقومات وقضايا العرب الأخرى مع احتفاظها بثوابتها.

إن الهوية ليست استجابة للأحداث وإنما فعل إنساني مرتكز لثقافة ممتدة من الماضي إلى الحاضر ومن ثم إلى المستقبل، إضافة إلى تزوير تاريخه ومكونات وجوده منذ عقود، والمتمثلة في محو الأسماء العربية للأماكن واستبدالها بأسماء يهودية، وكذا محاولة سرقة مورثه الشعبي وتزويره ليصبح يهوديا، وأيضا محاولة شطب الفلسطيني ذاته من خلال العمل على تذويب هويته المميزة في هويات أخرى؛ لأن هذا الفعل التزويري لا يؤسس حقائق ولا يلغي حضوراً فعلياً للشعب الفلسطيني الذي تجاوز وجوده حدود الزمان.

وقد تناول القصيبي كلَّ المواضيع الشعرية التي ترتبط بالقضية الفلسطينية، مهما كان ارتباطها ضعيفاً، فقد أعطى الشهيد اهتمامًا كبيرًا دون غيره من القضايا، فمرَّ عليه في بعض قصائده الطويلة، وكتب له قصائدَ خاصَّة به أيضًا، ومن ذلك قال الشاعر عن " الشهيد ":

كَان اسمُه مَهْر الرِّيَاح
كَان وسيماً أبيضاً
ومُشرَباً بزُرقِه
كأوَل الصَّبَّاح
وكَان شَعُر عُرفِه
غاباً مِنَ الرِّيَاحِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكَان صهيله
تمردُ .. ونشوةٌ شهيّة
تثيرُ فِي الصدورِ شهوةَ الكِفاح (١)

يقف الشاعر على تاريخ النكسة موثقاً إياه ومكرراً صوره، ويصور على لسان الشهيد ما يحدث له قبيل الموت، فهو لا يكتفي بالوصف المباشر للأحداث، بل يطوف بخياله في أبعاد هذا الاحتلال، حتى إن الصورة الشعرية تأتي متسلسلة ومتتابعة على هيئة مشاهد سينمائية تجسد الصورة وتجسم الأحداث لتبدو وكأنها حية واقعية في شعره، إذ نجد النص الشعري يتحرك بين فضاءين؛ الأول خافق بهوية الشهيد والآخر خاص بالشاعر، و إذا كان الظاهر النّصي يقدم صورة الاختلاف والتباين، فإنّ العمق يطمح إلى البحث عن التماهي، أي البحث عن الشاعر/ الشهيد، لأن القصيبي يريد لهويته أن تتشكّل على إيقاع هوية الشهيد، بخاصة والشاعر الفلسطيني يعاني من شوك الغربة ولا حل له كي يكون قريبًا من المأساة الفلسطينية إلاّ في الحلول في صورة الشهيد، إلى درجة أن يذبحه التشبيه وينفي اختلافه عن الشهيد الذي ضحّى بنفسه واغتال اللذات الحسية لأجل الوطن.

ولا يكتب الوجع أمام الشهيد وإنما الفرح، فرح الحب المقدس للشهادة وفرح الاستمرار في تجسيد الفعل البطولي الأسطوري- الملحمي، وهو شأن كل أبناء فلسطين، والمقاومة المستمرة ستكون نهايتها هي عودة الأرض المغتصبة إلى أهلها، وعودة اللاجئين من مخيمات المنافي إلى وطنهم، لتبدأ رحلة أخرى للبناء الوطني في جميع الميادين.

---

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن (٢٠٠٦م) ورود على ضفائر سناء بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٣، ص ٧٩- ٨٠

يقف الشاعر على تاريخ النكسة موثقاً إياه ومكرراً صوره، ويصور على لسان الشهيد ما يحدث له قبيل الموت، فيقول:

أَنَا مُلْقًى عَبَّر الْهَجِير يُغَطِّي
الرَّمْل وَجْهِي وتلعق الشَّمْس
جُرْحِي
وبقربي المِذْياع يُعْلِن بِاسْم الْمَجْد
فَتْحاً مُظفراً
بَعْدَ فَتْحِ
لَم أَمِت بَعْد . . . لَا تزالي شِفاهِي جَمْرَة (١)

ويبلغ الشعور المؤلم ذروته في تتبع هذه التفاصيل، حيث تتضح قدرة الشاعر على منحها أبعاداً عميقة في التأثير. مما يجعلنا نعتقد أن القصيبي يؤكد أنه ليس وحده من يريد أن يتفاعل مع شخصية الشهيد، وإنما كل عربي يريد هذا الحلم، والشهادة تتخذ معاني سامية وتكشف علامات متفردة في فلسطين وفي البلاد العربية كلها، وتجعل الموت على وقع المقاومة مختلفاً عن الموت بطرق أخرى، كما أن الذين يستشهدون يخرجون إلى القبر بأصوات الزغاريد والأغاني.

وفي قصيدة كتبها يستذكر النكسة في قصيدة " حزيران الأثيم " نظمها بعد أربع سنوات، وفيها يقول:

---

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٠٥ – ٤٠٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونغني يَا حُزَيْرَان الأَثِيم
لِمُرُور النَّصْل جَذْلَان عَلَى
الْجُرْح الْقَدِيمِ (١)

وتظل ذكرى نكسة حزيران حاضرة في الوجدان بألمها، وغصتها، وفاجعتها التي هزت كل المجتمعات العربية والمسلمة، ويوظف هذه الذكرى توظيفًا يستطيع الشاعر أن يكاشف الرؤى والمشاعر التي يطمح إلى التعبير عنها في علاقته مع الشهيد، وفي انفتاحه على الراهن والتاريخ. وكأنه يرسم عالمًا أسطوريًا مملوءًا بجلال الشهادة فيقول:

يَا حُزَيْرَان الَّذِي جَاءَ
وَمَا زَالَ يَجِيء
سنغني لحروبٍ لَا تَجِيء
وَسَلَام لَا يَجِيءُ
سنغني موتنا
مَا أُجْمِلَ الْمَوْت البَطِيء (٢)

ونلاحظ استخدام الشاعر للنداء والدعاء في القضايا العربية، حرصًا على عقد حوار مع هذه الآلام، ويبدو لنا أن الخيال الذي استعان به لم يكن مختلقاً ولا مجافياً للواقع، بل كان يمثل الرؤية الحقيقية لهذه الأحداث وما صاحبها من الآلام ومعاناة للأمة العربية، وهذه الحوارية توضح لنا مقدار ما

(١) غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٥٤٠
(٢) المصدر السابق، القصيبي، ص ٥٤٢

يدور في أعماق الشاعر من تساؤلات متعددة، وعن الحجم الكبير لمقاومته لمشاعره الداخلية.

فالبطل الفلسطيني عند القصيبي يقترب من البطل المؤلّه في الملاحم القديمة، لأنه يتخذ بعدًا إنسانيًا وآخر ألوهيًا، بل لقد جعله الشاعر أغنية جميلة ينتظرها الناس في كل أوقات اليوم وهذا بعد أسطوري آخر يضاف إلى الشهيد.

وتمتد صورة التوّحد بين الشهيد والأرض وعناصر الخصب الأسطوري لكل شهيد فلسطيني، ولكل من يفتدي ويضحي لتحرير وطنه أو للدفاع عن مبادئه وقضيته.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانياً: الانتفاضة الفلسطينية

لم يغب الأبطال الفلسطينيون عن شعر القصيبي، فقد سجل بطولاتهم وتضحياتهم، ومواقفهم الرجولية، في أكثر من قصيدة ، ووصف حالتهم بدقة، والتي عادة ما تبرز في سياق محاولات الاستقطاب بين الذات الفلسطينية الفردية / الجماعية وبين الآخر المتمثل في الإسرائيلي ليؤكد أن الشعب الفلسطيني المنتمي لمنظومة من الدوائر: القطري، القومي، الإنساني، له حضور طبعي وحضور فعلي وحضور تاريخي في الإطار الإنساني.

وواكب القصيبي المشهد الفلسطيني، ولم ينقطع عن الأحداث والمشاهد السياسية ، فلقد واكب انتفاضة الحجارة، وفي قصيدة "عقد من الحجارة" يقول: **[الخفيف]**

خبرونا بِاَللَّهِ مِنْ أَيْنَ جِئْتُـــــم أَمَن الْـوُرُود؟ أَمْ مِـنْ الصَّـبَارَّة؟
مِن شُمُوخ النَّخْل؟ أَمْ مِـنْ هديل الْقَمْح؟ أَمْ مِنْ هواجيس المحارة؟
مِن شذى البُرْتُقال؟ أَمْ مِنْ كُرُوم الْفَجْرُ أَمْ مِـنْ عنـادل الْبَيَّـارَة؟
هَكَذَا تُصْبِح الْحِجَارَة سـيفاً عِنْدَمَا تُصْبِح السُّيُوف حِجَارَة (١)

ويطول المشهد الوصفي لمعاناة الإنسان الفلسطيني؛ حتى يغطي كل المشاهد الدقيقة لمشاهد النضال الفلسطيني، وذلك ليمنح المتلقي انطباعاً حسياً حياً لحضور هذه الأحداث الدامية ومعايشتها عن قرب من خلال التغلغل في تفاصيل هذه المشاهد.

---

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن (٢٠٠٠م) عقد من الحجارة، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ص٧

وواضح اعتماد الشاعر على البساطة في التعبير، والوضوح في الرؤية، مستمداً ذلك كله من الانتفاضة نفسها، وهو لا يرى فيها تغييراً في الواقع الفلسطيني فحسب، بل يرى فيها تغييراً في الواقع العربي كله، وما فلسطين إلا جزء من الوطن الكبير.

وظهرت سمة القلق والاغتراب في قصائد الشاعر التي نظمها في قضية فلسطين، ولعل ما يعزز ذلك أنه كان ينطلق في مشاعره نحو هذه القضية تحديداً من وجدان عربي مشترك ينادي بالحق العربي في هذه القضية العادلة لا من وجدان ذاتي ونزعة داخلية خاصة بالشاعر.

ويستمر الشاعر في تصوير هذا الصراع المستمر الذي يأخذ منحنيات كثيرة، وتظهر له انعكاسات خطيرة على حياة الإنسان الفلسطيني الذي يعيش مهدداً لا يشعر بالأمان أبداً، ويعيش حياة أشبه بالموت البطيء.

وفي قصيدة أخرى يرسل مشاعره نحو القدس، في ذكرى العاشر من رمضان، فقال:

الْقُدْس دُعَاءٌ
الْقُدْس يُرَتِّل فِي مِحْنَتَه آيَ الْقُرْآنِ
يتشتت بِالْحِلْم الْغَضْبَان
فَغَدَا يَنْفَد صَبَر البُرْكان
وَيَعُود الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ
وَيَثُور نُفَيْر
وَيَضِجّ الْمَسْجِد بِالتَّكْبِير
وَتُضِيء مَنَارَتِه الْبَيْضَاء (١)

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٥٤٧ – ٥٤٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

استخدم الشاعر المقطوعة السابقة في السياق الإسلامي، وجاءت الألفاظ "دعاء، يرتل، آي القرآن، رمضان، المسجد، التكبير"، فأخذ المشهد التصويري في هذه اللوحة الشعرية صورة شمولية، وقام من خلال مشاهد وصفية متكاملة؛ ليصور لنا المشهد الفلسطيني، ويطول المشهد ليغطي كل ما حدث بتفاصيله الدقيقة.

وهكذا احتضن شعر القصيبي القدس، وعانقها، حبّاً وشوقاً، ودفاعاً وإصراراً وكان الشعر عنده دائماً مواكباً لكل ما مرت به القضية الفلسطينية من مراحل، وما قدمه الشعب العربي من كفاح وتضحيات من أجل تحرير الأرض والشعب، وأوجد الشاعر علاقة حميمية بين المكان ومكوناته، وذلك لأن المكان هو المكون الأساس والفاعل في الأحداث، ويتداخل مع باقي مكوناته من شخصيات، ولقد شحن الشاعر هذه المقطوعة بالكثير من العناصر المتعلقة بالمكان الفلسطيني المقدس، وذلك لتحقق روابط كثيرة بالموضوع، وجعله أكثر ارتباطاً بالقضية والأحداث، كذلك يوضح أنه لم يمنعه البعد المكاني من الشعور بمعاناة المواطن الفلسطيني ومعايشتها والغوص في أعماقها.

إن ما نظمه القصيبي من شعر عن القدس والقضية الفلسطينية لهو كثير جداً ، فهو بقدر ما أريق من دماء الشهداء، وبقدر ما دمّر من بيوت وقرى في أرض فلسطين، وهو شعر شارك فيه كل الشعراء في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه، شارك فيه الشاعر الكبير والشاعر الصغير، والشاعر المشهور والشاعر المغمور، وكان من بين ذلك ما هو خطابي مباشر، وكان فيه ما هو فني متطور، ولكنه كان مخلصاً للقضية، محباً لها، مدافعاً عنها.

ثالثاً: الحرب الأهلية بلبنان

تحتل لبنان مكاناً مرموقاً في شعر القصيبي ، وهذا لا يعني بالضرورةِ أنَّ الشاعر _ كتب ما كتب_ من خلال وعي مضبوط ورصد تام لتتبع تفاصيل هذه الأحداث بالمنطقة، وتناولها جغرافيًّا – سياسيًّا – تاريخيًّا – اجتماعيًّا..، حيث إن العملية الإبداعية قَد تولد من تداعي ما في ذاكرة الشاعر، من ترسبات حول مرحلة زمنية معينة – كالطفولة مثلاً – ، أو ترسبات ذات أثر عميق في عملية التغيير والتَحوُّل أو التحويل (كتعرض هذه المنطقة لكارثة بيئية مثلاً، أو وقوعها تحت تأثير الاحتلال)، ولا يشترط ذلك أن يكون الأديب قد عاصر أو عايش الواقعة – الحدث، وباختصار نعني هنا ما يترسب في الوعي الباطني .

وكانت أزمات لبنان عبر العقود الماضية حاضرة في الشعر السعودي بشكل عام، وفي شعر القصيبي بشكل خاص، وفي ذلك يقول:

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَمُوتُ وَتَحْيَا
تَمُوت وَتَحْيَا
كأنكَ وَحْدَك خَلّ الْحَيَاة
وَعَشِق الْمَمَات (١)

لقد كانت مأساة الشعب اللبناني، وما نجم عنها من ولادة حروب أهلية رافداً ثراً من روافد تجربة القصيبي الشعرية ليصبح شعره سجلاً صادقاً لأطوار القضية اللبنانية، وليكتسب قيمة وثائقية مهمة، حققت لتجربته الشعرية

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن (١٤٢٨ه / ٢٠٠٧م) حديقة الغروب، الرياض : مكتبة العبيكان ، ط ١، ص ٤١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السمات الأساسية التي جعلت منه قيمة فنية وموضوعية وتاريخية عظيمة، ووصل في شعره إلى مستوى من النضج الفني جعله يقف بين شعراء الصف الأول في الوطن العربي؛ الأمر الذي أضفى إلى شعره ميزة عالمية إنسانية.

[البسيط]

نَهْرٌ مِنْ الدَّمِ فَامْشِي فِيه وَاغْتَسِلِي مِنْ الْجَنَابَةِ يَا أُنْثَى بِلَا خَجِل
تَأَمَّلِي جُثَثٌ الْأَطْفَال وانفعلي وطالعي جُثَثٌ الْأَشْيَاخ واشتعلي (١)

ويتحاور الشاعر مع "بيروت" من خلال استخدام أسئلة استفهامية تعجبية، واصفاً فيها حالة اليأس التي وصلت إليها جراء اقتتال الجماعات والتيارات السياسية، والتي أدت إلى هذه المجازر المروعة وسفك دماء الأطفال، ولا يوجد رادع لهذه الجماعات المجرمة التي أدت إلى القتل والتشريد، وخراب هذه المدينة وتحويلها إلى أرض معركة لاقتتال أبنائها تحت شعارات زائفة.

وظهر إلمام الشاعر بالقضايا اللبنانية وعكسه الصورة حتى بدا وكأنه جزءٌ من الواقع اللبناني، فيقول في إحدى قصائده: **[البسيط]**

بَيْرُوت مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ هَلْ ذُبِحَت؟ بِيضُ الْأَمَانِيّ وغال الطِّفْلَةَ الذِّيبُ
وَهَل تَوَارَى مَلِيحٌ كَان يأسرني وَهَل قَضَى قَبْلَ يَوْمِ الْوَعْد مَحْبُوبُ
وَأَيْنَ مَا كَانَ يَا بَيْرُوت إذ رَقَصَت لِي اللَّيَالِي وَطَارَت بِي الْأَعَاجِيبُ؟ (٢)

يصف الشاعر في الأبيات السابقة مأساة الأمة العربية في مجزرة "صبرا وشاتيلا" بألم وحرقة، ويبرز أسباب هذه الفاجعة وأن تعدد الفرق

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٧٤٩
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٢

والجماعات التي أدت إلى هذه المجزرة الشنيعة التي راح ضحيتها العديد من الأبرياء، فيقول: **[البسيط]**

قَالُوا الْعَرُوبَةُ قُلْنَا أُمَّةٌ دَرَجَت عَلَى الشِّقَاق فأضحت مَضْرِبَ الْمَثَلِ
فِي كُلِّ شِبْرٍ زَعِيمٌ رافعُ عَلماً يَقُولُ إنِّي وحِيدُ النَّاسِ فِي مُثُلي (١)

جاء شعر القصيبي عن الحرب الطائفية اللبنانية في مجمله مكوِّنا رؤية موضوعية تتحد حول فكرة رافضة للشعارات السياسية، وساخطة على هــذه الأحزاب والجماعات التي شتت لبنان وقسمته، وقدمت مصالحها على مصلحة لبنان، فكان الضحية في ذلك هو الشعب اللبناني الشقيق.

(١) المصدر السابق، ص ٧٥١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعاً: الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت ١٩٩٠م

لقد أثرت قضية الغزو العراقي للكويت في الشعر العربي المعاصر، وتمثل ذلك في فيض غزير جداً من القضايا والموضوعات الجديدة. ولعلي لا أخالف الصواب بقولي: إن ديوان الشعر العربي المعاصر يمثل دائرة واسعة من دوائر الرصد والمتابعة لأبعاد قضية هذا الغزو وملابساتها وأحداثها وتطوراتها وتسلسلها التاريخي والزمني حتى اليوم، ورصداً متكاملاً لجميع الظروف والملابسات وألوان المعاناة التي مر بها الإنسان الكويتي قبل الغزو وبعده، سياسياً واجتماعياً واقتصاديًا.

وبحق فقد استطاع الشعر العربي المعاصر أن يكون من نفسه مصدراً أساساً من مصادر دراسة هذه القضية. التي نمت وتطورت مع نمو وتطور أحداث القضية.

وقد نالت هذه الفاجعة وأحداثها المريرة نصيبًا وفيرًا من كتابات الشعراء العرب، فسجل كل منهم وقائع وحقائق مختلفة، وصراعات في تغيرات المكان وأزماته الفكرية، وتحولت عندهم هذه الحادثة إلى أزمة مزمنة نفّسوا عنها بقصائد فياضة مملؤة بالحزن والأسى والشجون.

تفاعل الشاعر مع الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت بوصفها قضية عربية، وليست قضية خليجية فحسب، حيث هزت هذه الحادثة الوجدان العربي، ومثّل اعتداء دولة عربية شقيقة على أخرى جرحاً كبيراً في اللحمة العربية.

أصدر القصيبي ديواناً تفاعلاً مع هذه الحادثة، وعنون لهذا الديوان باسم "مرثية فارس سابق" وذلك لأهمية هذه القضية في وجدان الشاعر، وتضمن

الديوان عدداً من القصائد كعادة القصيبي في تفاعله مع القضايا العربية في أن يصدر مطبوعاً شعرياً خاصاً بها، ومن ذلك ديوانه فيما يخص القضية الفلسطينية "عقد من الحجارة" وديوانه "يا فدى ناظريك" عن الشهيد محمد الدرة.

ووجد الشاعر مساحة واسعة في هذا الجو المشحون؛ ليطرح أبعاد الموقف من وجهة نظر عربية، عرض فيها لوحات من الرؤى الفلسفية، مما انعكس على عمق التجربة الشعرية للقصيبي، وجاءت قصائده مشحونة بعاطفة جياشة أصيلة صادقة، يظهر فيها الولاء والانتماء.

واحتوى الديوان على عشر قصائد شعرية تفاعل فيها الشاعر، وصور القصيبي فيها مدى بشاعة احتلال دولة عربية لدولة عربية شقيقة مجاورة لها، وأن ذلك يتناقض مع مبادئ الدين والجوار، وكانت هذه القصائد في مجملها متفاعلة مع هذا الغزو وساخطة على النظام العراقي الذي لم يكن متوقعاً منه هذه الخيانة لمبادئ الإخوة والعروبة والجوار.

وفي إحدى قصائده يستخدم أسلوب القسم ويكرره أكثر من مرة عبر القصيدة موثقاً الصلة بينه وبين هذه القضية، وأن الكويت ستتجاوز هذا الاحتلال سريعاً، وستعود لؤلؤة الخليج شامخة قوية كما سبق، ومن ذلك قوله:

يَا كُوَيْتُ
أَقْسَمْتُ يَا كُوَيْتُ
بِرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ
سَترجعين مِن خَنَادِقِ الظَّلَامِ
لُؤْلُؤَةً رَائِعَةً

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كَروعةِ السَّلَامِ
أَقْسَمْتُ يَا كُوَيْتُ
بِرَبّ هَذَا الْبَيْتِ
سترجعين مِن بَنَادِق الْغُزَاةِ
أُغْنِيَّةً رَائِعَةً
كروعةِ الْحَيَاةِ (١)

ويتضح في هذه المقطوعة أن الشاعر قد زاوج بين الشعور الوجداني والموقف الرافض لهذا الاحتلال الذي سينكسر عاجلاً وتعود الكويت اللؤلؤة الحسناء فاتنة الخليج، واستخدم الشاعر أسلوب القسم للدلالة الجازمة على تخلص الكويت من هذا المحتل الغاصب، وهو يدل على يقينه وإيمانه في أن هذا الاحتلال سيفشل ولن يحقق بغيته، وستعود الكويت شامخة فاتنة لا يضرها هذا الاحتلال وما أحدثه من خراب وتدمير، وستنهض وتتخلص من تبعاته سريعاً.

ولا يقف الشاعر عند رصد المعاناة والآلام والأوصاب في حياة الكويتيين، وإنما أدرك المسئولية الملقاة على عاتقه في مقاومة المحتل، والدعوة للتشبث بالأرض، وبث الأمل والروح في نفوس كل الكويتيين، إن رسالته كشاعر تنطلق من مشاركته المجتمعية مشاركة صحيحة وفاعلة، ينطلق فيها من رؤية واقعية شاملة، يستوحي عناصرها من روح الشعب، ومن ثمرة إحساسه ونتيجة تفكيره.

---

(١) القصيبي، غازي عبد الرحمن (١٤١١هـ / ١٩٩٠م) مرثية فارس سابق، الرياض ، الكتاب العربي السعودي ، ط٢ ص ١١

ويستنكر الشاعر في مواطن كثيرة عدم حفظ حق الجوار وما حدث من هذا الاحتلال الذي نقض كل مواثيق الإخوة والصدق والوفاء، ويذكر بحقوق الجوار وهو يخاطب رئيس النظام العراقي بسخرية، فيقول:

عجباً ! كَيْف اتخذناك صَدِيقًا ؟
وحسبناك أخاً براً شَقِيقًا ؟
وأخذناك إلَى أضلاعنا
و سقيناك مِنْ الْحَبِّ رحيقا
واقتسمنا كِسْرَةَ الْخُبْز معاً
وكَتَبْنَا بالدما عهدًا وَثِيقًا (١)

يوازن الشاعر في المقطوعة السابقة بين استعراض القيم والمبادئ العميقة والأصيلة بين الدول العربية فيما بينها، وأنه يفترض أن يكون بعضها سنداً لبعض، وفي الوقت ذاته يظهر فاجعة الخيانة غير المتوقعة من الجار والذي أخلف بكل العهود والمواثيق.

وتتصاعد الأحداث الجسام، وتزداد معاناة الشاعر وتعلقه بهذه القضية، ويقترب بشكل أكبر من هذه القضية، ويصبح أشبه ما يكون ذاكرة شعرية لهذه القضية منذ بداياته حتى توفي الشاعر، ومازالت هذه القضية باقية.

وهناك من يرى أن الشاعر القصيبي في تناوله للقضايا العربية كانت تظهر لديه مسحة من الحزن وهو يتناول الواقع العربي، ويتضح في القصائد التي تناول فيها الواقع الغربي هو الشعور بالغربة، وما نقصده بالغربة ليست

(١) القصيبي ، غازي عبد الرحمن ، مرثية فارس سابق ، ص ٢٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

غربة دائمة، " غربة القصيبي غربة مؤقتة، لكنها متكررة ناجمة عن تفاعله مع الأحداث من حوله، فكل حدث يولد غربة" (١).

وظهر الرمز في الكثير من قصائد الشاعر التي نظمها في القضايا العربية بشكل لافت" وإنما اقتبس رمزيته من الأحداث العربية في الجاهلية، وأسماء شخصياتها، وأيضا من الأحداث الإسلامية ومغازيها وأبطال الجهاد"(٢)

وما دمنا في صدد الحديث عن النزعة إلى القضايا العربية التي حفلت بها قصائد القصيبي؛ فمن الجدير ذكره هنا أن الصور الدينية أخذت بعداً عميقاً، وكان واضحاً فهم القصيبي للتاريخ وأحواله وأبعاده، وهو يرصده في قصائده محللاً وشارحاً للكثير من الأحداث التاريخية الدينية وفق رؤيته ونظرته الخاصة التي يحاول أن يحولها من خلال قصائده إلى رؤية مشتركة عامة.

وجاءت هذه القصيدة مشبعة بمشاعر العروبة الصادقة؛ فألفاظها مليئة بالمعاني المحبة التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني الصادقة، وكانت تستخدم رمزًا لوقائع وأحداث معاصرة، وتدفقت فيها جرعات الأحاسيس، لتدل على صدق الدلالات الإنسانية نحو القضايا الواقعية.

ونلاحظ أن الكلمات التي استخدمها القصيبي في قصائده توحي بالنزعة العربية الصادقة، ضمن إحساسه الصادق وهو يصور موقفه من الحياة ونظرته لها، وهذا ناجم عن الوشائج والصلات فيما بينها، ويمكن تصنيف

---

(١) العطوي ، مسعد بن عيد ، الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، ص ٦١٧

(٢) العطوي ، مسعد بن عيد(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) الرمز في الشعر السعودي، الرياض ، مكتبة التوبة، ط ١ ص ٢٥٥

أشعار القصيبي بين التيارين المحافظ والمجدد، فلم ينغمس مع التيار المجدد من خلال قصيدة الشعر الحر، ولم يقف عند مرحلة القصيدة العمودية التقليدية.

وتظهر المسحة الرومانسية في أشعار القصيبي في مواطن كثيرة خاصة في القصائد التي نظمها في بداية حياته" وتظهر الرومانسية في الرهبة والخشية من الحياة، مما يجعله يتأثر في حياته، فهو يترقب الأمل والغاية لحياته، لكنه ينثني عندما يصطدم بتلك العقبات، وهذه ملمح من ملامح الخنوع والخوف ثم الانكفاء على الذات" (١).

وبدا واضحاً أن هناك تداخلاً بين العواطف الوجدانية وبين الروح الإسلامية لدى القصيبي في الكثير من قصائده " والقارئ للشعر الوجداني في بلادنا يجد أن هذا العنصر يتداخل في شعرهم؛ فهم يبتغون المثالية الإسلامية، ويظهر تأثر المغترب بالروح الإيمانية عندما يستسلم للقضاء والقدر" (٢).

وتميزت قصيدة " القصيبي " التي تناول فيها القضايا العربية بثلاثة أمور:

أولاً : واكب القصيبي الأحداث العربية ورصدها وجاء شعره بمثابة ذاكرة شعرية سجلت العديد من المشاهد التاريخية، وأفرد لبعض الأحداث دواوين شعرية خاصة، من مثل: " مرثية فارس سابق " و " عقد من

---

(١) العطوي ، مسعد بن عيد (١٤٢٠هـ) الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، الرياض ،ص ٦١٤

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحجارة " و " يا فدى ناظريك " و " للشهداء "، وهذا يدل على التزامه الكبير تجاه القضايا العربية.

ثانياً: استخدام تقنيات الوصف بإسهاب في سرد بعض المشاهد التفصيلية في الموضوعات التي عرضت لقضية فلسطين.

ثالثاً: تناول القضايا العربية في المزواجة بين القصيدة العربية العمودية التقليدية، وبين قصيدة التفعيلة.

الخاتمة

أولاً: عايش الشاعر هذه القضايا العربية وارتبط بها ارتبطاً وثيقاً، وجاءت في منزلة عالية من ضمن مضامين شعره، بل وأفرد لها دواوين خاصة إيماناً بأهمية هذه القضية ولما تمثله في وجدانه الذي ينبض بالهم العربي.

ثانياً: غلب على الشاعر الانفعال الوجداني تجاه القضايا العربية في الكثير من القصائد، واندمج مع هذه الأحداث حتى أصبح جزءًا منها، وعمد إلى تكثيف المشاعر، والإيحاء، وهو ما جعل القصيبي يلتصق بالقضايا العربية ويلتحم بها حتى غلب على دواوينه الشعرية.

ثالثاً: أجاد القصيبي في وصف القضايا العربية، وأبدى قدرة فائقة في تصويرها، وأظهر قربه الشديد من قضايا الأمة العربية وتفاعله معها، وصبغ شعره بالحزن تارة، وباللوعة والتعاسة تارة أخرى.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع :

١- القصيبي ، غازي عبد الرحمن (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) **الأعمال الشعرية الكاملة** ، جدة : مكتبة تهامة ، ط ٢

٢- القصيبي، غازي (١٤٢٤هـ) **سيرة شعرية**، جدة : تهامة للمكتبات والنشر ، ط ٣

٣- القصيبي، غازي عبد الرحمن (٢٠٠٦م) **ورود على ضفائر سناء** بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٣

٤- القصيبي، غازي عبد الرحمن (٢٠٠٠م) **عقد من الحجارة**، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢

٥- القصيبي، غازي عبد الرحمن (١٤٢٨ه / ٢٠٠٧م) **حديقة الغروب**، الرياض : مكتبة العبيكان ، ط ١

٦- القصيبي، غازي عبد الرحمن (١٤١١ه/ ١٩٩٠م) **مرثية فارس سابق**، الرياض ، الكتاب العربي السعودي ، ط٢

٧- القط ، عبد القادر (١٩٨٨م) **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر** ، القاهرة : مكتبة الشباب

٨- العطوي ، مسعد بن عيد (١٤٢٠هـ) **الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية** ، الرياض ، ط ٢

٩- العطوي ، مسعد بن عيد(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) **الرمز في الشعر السعودي**، الرياض ، مكتبة التوبة، ط ١

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٤٢١٣
٢-	Abstract	١٤٢١٤
٣-	مدخل :	١٤٢١٥
٤-	القضايا العربية في شعر القصيبي:	١٤٢٢٤
٥-	أولاً : نكبة حزيران ١٩٦٧م	١٤٢٢٦
٦-	ثانياً: الانتفاضة الفلسطينية	١٤٢٣٦
٧-	ثالثاً: الحرب الأهلية بلبنان	١٤٢٣٩
٨-	رابعاً: الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت ١٩٩٠م	١٤٢٤٢
٩-	الخاتمة	١٤٢٤٩
١٠-	المصادر والمراجع :	١٤٢٥٠
١١-	فهرس الموضوعات	١٤٢٥١